من والد وسيم؟

-هل عرفت سبب ذهاب عبد الرحمن الى فرنسا الآن؟ فعل لوسيم ما لم يفعله والـد لولده.. بقي معه حتى لا يفجعه بموت أمه التي ربته وأرضعته ثدييها.. لقد أصيب وسيم في نفس الحادث الذي أودى بأمه بعد قصف المروحية الإسرائيلية لمنزل عبد الـرحمن، وأخرج حيا من تحت الأنقاض وقد بترت ساقه.. كان عبد الرحمن في المعركة جنـوب صيدا وجهاد يلعب مع رفاقه في اقليم التفاح، فأرسله الي لأرعاه، ولم يخبره أحد عن أمه حتى كان عيد ميلاده من عهد قريب.. أنا أعرف وقع موت الأم على الصغار. رهيـب، يشكل شخصيتهم ومرارتهم مدى الحياة. لقد كبر جهاد عشرة أعوام عن ذي قبـل وهـو الأقوى والأكثر احتمالا بين الصبيين. فكيف يكون وقع هذا الأمر على وسيم، فنـضيف الى إعاقته ظروفا قاسية جديدة بقولنا له أنه صبي متبنى، فلا عبد الرحمن أبوه ولا ثريـا أمه.. وأن والده الحقيقي هو كريم الذي لم يعلم بوجوده على قيد الحياة إلا منـذ أسـبوع وهو يريد أن يسترده ويقوم بواجبه نحوه! لا يمكنك أن تنتزع وسيم من جو الأمان الـذي يحس به، ان هذا يقتله! حتى أمه حين زارته لم تجرؤ على أن تقول له بأنها أمه الحقيقية! الصغار يحاسبون آباءهم لتخليهم عنهم، ولا يغفرون أبدا لمن يستهتر بهم مهمـا كانـت ظروفهم وأعذارهم.

-أنا ما كنت أعلم بوجوده في الوقت المناسب، وإلاّ كنت تصرفت بطريقة مغايرة.

-لا، ما كنت تصرفت بطريقة مغايرة، كنت قد تورطت بـزواج الأميركيـة التـي فتحت لك أبواب الجنة، حتى لم تكن بحاجة لمساعدة أهلك. لم تكن ليديا ضامنة لك فـي بلاد الغربة، ولهذا لجأت الينا لانقاذها من ورطتها، لو عرفت مكانك كنت ستجدها عائقا هي وجنينها لمستقبلك.. لا يستطيع الإنسان في مفاهيمنا الشرقية أن يبني حياتـه علـى أهواء النفس، على نظرية الدوافع والدواعي كما تقول.. يأتي يوم ويدفع الثمن غاليا!

حدثت كريم بردود فعل جهاد حين عرف من الهدية التي أرسلها له والده في عيـد ميلاده وفيها صورة أمه على غلاف كتاب مجموعة أشعارها، ففهم على الفور ماحـدث لأمه، وكيف سافر لوحده في اليوم التالي الى منزله في عين الحلوة وجلس يبكي على قبر أمه، وأردفت:

-ليست هينة ردود الفعل عند الصغار وهم يواجهون موت الأم!

-ولكنها ليست أم وسيم.

-انها أمه الحقيقية، لا تلك التي تخات عنه وهو رضيع. فلا تـضف الـى اعاقتـه الجسدية، موت أمه وأبيه لأنك لن تعوضه عن كون عبد الرحمن له أبا..انه مسجل فـي فرنسا بأنه الابن التوأم لعبد الرحمن وثريا. بينما هو مسجل في لبنان بأنه ابن كريم عباد وليديا ديب.

-ألم تسأل عنه أمه طوال هذه المدة؟

-سألت عنه قبل خروج الفلسطينيين بقليل من لبنان. كلفت زوجها غانم أن يخطـف لها جهاد وهي تحسبه ابنها.

وقصصت له حادثة خطف نورا وجهاد من البيت بهويتي التي سلبت مني وأنا أزور والد جهينة قبل رحيل الفلسطينيين عن بيروت الغربية.. وكيف عرفت أن غانم هو الذي فعل ذلك لأن زوجي كان قد عينه مديرا ماليا لمصرفه، وكان يهددني بأخذ نورا مني لو أصررت على طلب الطلاق.

-هل كنت تطلبين منه الطلاق؟

-نعم، كنت مصرة عليه بعد أن اكتشفت خيانته لي، ولم ينكر غـانم فعلتـه أمـام الشرطة ولكنه كذب بقوله أنه فعل ذلك بناء على طلب الأمير وأن نورا هي عنـد أبيهـا وجهاد في حضن أمه زوجة الأمير.. أدركت على الفور أنه يفعل ذلك من أجل داليـا أم وسيم، فهي تظن أن جهاد هو ابنها الذي تركته عندنا وهو رضيع..

-ما هذه القصص التي تشبه الأفلام؟

-الحياة تنسج قصصا واقعية هي أغرب من الخيال.. ما كنت أعلم حينذاك أن داليا هي زوجة غانم وأن المرأة التي يعيش معها زوجي هي أخته التي دسها في بيتـي وأنـا غائبة أرعى والدي في مرضه الأخير.. أرسلت له برقية عن طريق صديق له أميركـي الجنسية لأنني لا أعرف عنوانه في نيويورك فجاء على التو الى لبنان وقد طارصوابه.. لم تكن نورا عنده.. وكان هو الذي اكتشف أن داليا هي زوجة غـانم، وأن الـصغيرين عندها في قرية النبي يونس..عاد زوجي بنورا دون جهاد لأن داليا تصر على أنه ابنهـا فاضطررت أن أكشف له قصة التوأم والوثائق التي تثبت أن جهاد هو ابن ثريـا وعبـد الرحمن، وأن وسيم هو ابن داليا ديب وكريم عباد..

رن الهاتف في مكتبي وكان من المستشفى يستدعي كريم لعملية قيصرية. قال كريم بعد أن استفسر عن حالة المرأة:

-يبدو أن النساء هنا يستسهلن الجراحة القيصرية ولو لم يكن هناك داع لهـا علـى إنجاب الأطفال بشكل طبيعي..

-لم تعد المرأة في هذا العصر تحتمل آلام المخاض ولو لبضع ساعات..

-وجسدها كيف يغري الرجل، وعليه خارطة من آثار ولادات متعددة؟

-ما عادت المرأة تنجب أكثر من ولد أو ولدين، وخصوصا ان كانت تعمل..

-أتعرفين؟ لو أن مامعي يكفي لبناء مستشفى خاص بي لجنيت في هذا البلـد مـالا كثيرا.. الى اللقاء يا شهرزاد!

* * *